المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة بالرياض
قسم أصول الفقه

الشامل في شرح أصول البزدوي

للقاضي أبي حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر العميد الفارابي الإتقاني (658-758)هـ
من باب بيان أقسام السنة حتى آخر باب الطعن يلحق الحديث من قبل غير راويه
دراسة وتحقيقا

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد
سعيد بن سعد جمعان العمري

إشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور /موسى بن علي فقيه
عميد كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بأبها

1424/1423هـ

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه وأقتفى أثره إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً 0

أما بعـــد :

فإن أشرف العلوم كما قال الغزالي ـ رحمه الله ـ : » ما ازدوج فيه العقل والسمع ، واصطحب فيه الرأي والشرع ، وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل ، فإنه يأخذ من صفو العقل والشرع سواء السبيل «[1] 0

ونجد الشوكاني ـ رحمه الله ـ يصف علم أصول الفقه بأنه العلم الذي يأوي إليه الأعلام ، والملجأ الذي يلجأ إليه عند تحرير المسائل ، وتقرير الدلائل في غالب الأحكام وأن مسائله وقواعده المحررة تؤخذ مسلمة عند كثير من الناظرين[2] 0

قلت : فلا مبالغة إذا قلنا : إن حاجة طالب العلم الشرعي إلى معرفة علم أصول الفقه ملحة . ولذا فقد انصرف كثير من العلماء قديماً وحديثاً إلى التأليف في هذا العلم ، وبالرغم من فقدان الأمة الإسلامية لكثير من تراثها لأسباب مختلفة إلا أن المكتبات لا تزال تزخر بالكثير من هذا التراث الإسلامي الضخم الذي تركه لنا علماؤنا وأسلافنا الأفاضل ـ رحمهم الله جميعاً ـ 0

فمن حقهم علينا الدعاء لهم ، وبذل الجهد في إخراج ذلك التراث الضخم ، وذلك بتحقيقه والعناية به وخاصة من طلاب العلم المتخصصين كل في مجاله ،

---

(1) المستصفى (3/1) 0

(2) انظر : إرشاد الفحول ص(2) 0

وأحمد الله أن وفقني لأن أكون أحد الدارسين لهذا العلم الجليل ؛ لأشارك في تحقيق هذا الهدف النبيل 0

وإن من أشهر العلماء الذين كان لهم قدم راسخ في هذا العلم ـ علم أصول الفقه ـ الإمام فخر الإسلام أبو الحسن علي بن محمد البزدوي ـ رحمه الله[1] ـ فقد ترك لنا تصانيف جليلة من أهمها كتابه الموسوم بـ (كنزل الوصول إلى معرفة

---

(1) هو : الإمام فخر الإسلام علي بن محمد بن الحسين بن عبدالكريم ، النسفي ، أبو الحسن ، نسبته إلى بَزْدَوة ، وهي قلعة حصينة على طريق بخارى ، ولد في حدود سنة أربعمائة للهجرة 0
روى عنه : أبو المعالي محمد بن نصر الخطيب ، وابنه أبو ثابت الحسن بن علي البزدوي 0
وهو شيخ الحنفية ، وعالم ما وراء النهر ، قال عنه الذهبي في السير (603/18) : » كان إمام الأصحاب بما وراء النهر ، وله التصانيف الجليلة ... وكان أحد من يضرب به المثل في حفظ المذهب « .
وقال عنه صاحب الفوائد البهية ص(209) : » الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم ، إمام الدنيا في الفروع والأصول ، له تصانيف كثيرة معتبرة « 0
من تصانيفه ـ سوى كنز الوصول إلى معرفة الأصول ـ : " شرح تقويم الأ دلة للدبوسي " ، مخطوط بدار الكتب المصرية ومصور على ميكروفلم رقم (290) أصول فقه طلعت ، ضمن مجموعة ، و "شرح الجامع الصحيح للبخاري" ، و "شرح الجامع الصغير" ، و "الجامع الكبير للشيباني" ، و "شرح زيادات الزيادات" ، و "شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة" ، له نسخة في مكتبة الملك عبدالعزيز برقم (1379) ، و "الميسر في الكلام" ، مصور بالجامعة ا لإسلامية على ميكروفلم رقم (1519) ، و "كشف الأستار" في التفسير ، و "المبسوط في فروع المذهب الحنفي" 0
توفي ـ رحمه الله ـ في رجب سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، وزاد بعضهم : يوم الخميس خامس رجب ، ودفن بسمرقند 0
انظر : معجم البلدان (409/1) ، سير أعلام النبلاء (602/18-603) ، الجواهر المضية (594/2-595) ، تاج التراجم ص(205-206) ، الفوائد البهية ص(209-210) ، كشف الظن-ون (563/1 ، 553) ، (962/2 ، 1016) ، معجم المؤلفين (192/7) ، الفتح المبين (276/1) 0

الأصول) والمشهور ب- (أصول البزدوي) ، فهو من أجل كتب الحنفية وأشهرها ، ولا يستغني عنه باحث في هذا المجال[1] 0

وقد اشتهر هذا الكتاب كغيره من كتب المؤلف بالإيجاز في لفطه ، والعسر في فهمه ، ولذا لقّب البزدوي - رحمه الله - بأبي العسر 0

ولهذه الأسباب وغيرها انكب كثير من العلماء - وبخاصة من الحنفية - على شرح هذا الكتاب[2] ، والتعليق عليه ، وبيان مبهمه ، وتحليل عباراته ....

وقد كان من شرّاحه : قوام الدين أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر العميد الفارابي الإتقاني المتوفى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة من الهجرة - رحمه الله - وقد وسم هذا الشرح ب- *(الشامل في شرح أصول الفقه للشيخ الإمام فخر الإسلام البزدوي)* 0

---

(1) قال حاجي خليفة في كشف الظنون (112/1) - مبيناً مكانة أصول فخر ا لإسلام البزدوي -: » وهو كتاب عظيم الشأن ، جليل البرهان ، محتو على لطائف الاعتبارات ، بأوجز العبارات ، تأبى على الطلبة مرامه ، واستعصى على العلماء زمامه ، فقد انغلقت ألفاظه ، وخفيت رموزه وألحاظه ، فقام جمع من الفحول بأعباء توضيحه وكشف خباياته وتلميحه ..... « 0

(2) من هذه الشروح :

- الكافي لحسام الدين السغناقي ، وهو من شيوخ الإتقاني . المتوفى (714) 0
- الشافي لجلال الدين الكرلاني ، وهو من تلاميذ الشيخ السغناقي 0
- التقرير لأبي المكارم أحمد بن حسن الجاربردي الشافعي ، المتوفى (746) 0
- بنيان الوصول لقوام الدين الكاكي ، المتوفى (749) 0
- التقرير لأكمل الدين محمد بن محمود البابرتي ، المتوفى (786) 0
- شرح لأبي البقاء محمد بن أحمد المكي ، المتوفى (854) 0
- شرح لعمر بن عبدالمحسن الأرزنجاني 0
- شرح للشيخ الهدهاد ، المتوفى (923) 0
- شرح للشيخ محمود بن أحمد الجونفوري ، المتوفى (1062) 0

وللوقوف على هذه الشروح وغيرها انظر : كشف الظنون (112/1-113) 0

قلت : وهو شامل للكثير من الأقوال ، والنصوص ، و المصادر ... التي قلما توجد في غيره من كتب أصول الفقه ، كما سيأتي عند التعريف بهذا الكتاب الجليل الذي يقع في عشرة أجزاء ، وقد تم تسجيل الجزء الرابع منه في قسم أصول الفقه في كلية الشريعة بالرياض ، لذا رأيت ـ بعد أن استخرت الله واستشرت بعض أساتذتي الفضلاء ـ أن يكون الجزء الخامس من هذا الكتاب والمتعلق بمباحث السنة ، مجالا ً للبحث الذي أتقدم به إلى كلية الشريعة وأصول الدين بالرياض ، قسم أصول الفقه ، لنيل درجة الدكتوراه ـ إن شاء الله ـ في أصول الفقه ، وما توفيقي إلا بالله ، سائلا ً الله ـ عز وجل ـ أن يرزقنا جميعاً الإخ لاص في القول والعمل ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم 0

أولا ً : عنوان الموضوع :

عنوان الموضوع هو : ((الشامل في شرح أصول صدر الإس لام البزدوي ، للقاضي أبي حنيفة قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر العميد الفارابي الإتقاني (685 ـ 758) هـ . من باب بيان أقسام السنة حتى آخر باب الطعن يلحق الحديث من قبل غير راويه ، دراسة وتحقيقاً)) 0

ثانياً : أسباب اختيار الموضوع ، وأهميته :

لقد وقع اختياري على تحقيق هذا الكتاب الضخم لأسباب عدة ، من أهمها ما يلي :

1ـ أهمية الكتاب التي تتضح من عدة وجوه ، من أبرزها الآتي :ـ

أ ـ أنه شرح لأصول ذلك العالم الكبير والأصولي النحرير فخر ا لإسلام البزدوي الذي يكنى بأبي العسر ؛ نظراً لصعوبة فهم مؤلفاته ، فهي بحاجة للمزيد من الشرح والإيضاح ولم يطبع من شروح أصول فخر الإسلام البزدوي سوى : كشف الأسرار لعبدالعزيز البخاري ولذا فهو أشهرها ، ثم أخيراً طبع الكافي في شرح أصول البزدوي لحسام الدين السغناقي وهو من شيوخ قوام الدين

الإتقاني ، وكذا كتاب الشافي للكرلاني ، وهو شرح للبزدوي يقوم بتحقيقه عبدالمجيد حسن الصانع في الجامعة الإسلا مية بالمدينة النبوية ، ويأتي كتاب الشامل في نفس الاتجاه ، ليكمّل ، ويوضح ، وهو يختلف عن سابقيه بأنه كتاب ضخم يتكون من عشرة أجزاء ، مما يعني أنه يحوي الكثير ، مما يدعو إلى تحقيقه وإخراجه من قبل طلاب العلم المتخصصين ، ولا شك أن في الاعتناء به وتحقيقه وإخراجه للنور فوائد كثيرة لطلاب العلم 0

ب ـ أن لمؤلفه قدماً راسخةً في علم أصول الفقه ، فقد كان رأساً في مذهب الحنفية ، فقد أُثني عليه حتى قيل : » كان من المجمع على علمه وفضله وبراعته «[1] . مما يعكس أهمية مؤلفاته ، وضرورة الاعتناء بها 0

ج ـ تبرز أهمية هذا الكتاب ـ أيضاً ـ من خلال ما تميز به عن غيره من شروح أصول البزدوي ، بل وتميز عن كثير من كتب أصول الفقه ، وذلك بشدة اهتمامه بالأحاديث النبوية ، والآ ثار ، فهو يذكرها بلفظها من مظانها ، مع ذكر السند في غالب الأحيان كما أنه يذكر من أخرج الحديث أو الأثر من أئمة هذا الشأن ، بل ويعتني ببيان درجة الحديث والحكـم عليه من حيث الصحة والضعف في مواطن كثيرة[2] ، مما يعين القارئ على الحكم على الدليل قوة وضعفاً ، ومعرفة مأخذ كل فريق على أدلة الفريق الآخر ، ومن ثم الترجيح بين الأ قوال 0

---

(1) الطبقات السنية (2/222-223) 0

(2) قال ص(125-126) : » وقال البخاري في كتاب المغازي من الصحيح : حدثنا أحمد بن عثمان ، قال : حدثنا شريح بن مسلمة ، قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق ، قال : حدثني أبي عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء بن عازب قال : بعثنا رسول الله ـ ـ مع خالد بن الوليد إلى اليمن .... « ثم ذكر الحديث بنصه . فلم يكتف بذكر الصحيح بل حدد موطن النقل وأنه من كتاب المغازي 0 ==

2- من الأسباب التي دفعتني لتحقيق هذا الجزء أن البحث الذي حصلت به على درجة الماجستير كان موضوعاً ، وعنوانه : (الصيرفي وآراؤه الأصولية جمعاً وتوثيقاً ودراسة) وقد عرضت فيه لجل أبواب هذا العلم ، فأحببت الجمع بين كتابة الموضوع وتحقيق المخطوط في مرحلة الطلب ، أملا ً في ا لإفادة من ذلك عند الحاجة إلى أحدهما مستقبلا ً - إن شاء الله - 0

3- حاجة المكتبة الإسلامية - وبخاصة مكتبة أصول الفقه - لكتب التراث المحققة والمنقحة إذ أن بعض كتب أصول الفقه المطبوعة والتي تعتبر من أمهات كتب الأصول هي بحاجة إلى التحقيق والتنقيح من قبل أهل الاختصاص 0

== ونجده عند حديثه عن حكم المصراة ص(211) يذكر أن حديث المصراة مضطرب المتن ، ثم يورد كل أحاديث الباب عند البخاري بأسانيدها ، ونصها ، إلى أن قال : » وهذا إتمام ما ذكره البخاري « . ثم فعل مثل ذلك مع صحيح مسلم ص(217) إلى أن قال : » وهذا إتمام ما ذكره مسلم « 0

وهكذا مع بقية كتب السنن كما في ص(276-282) حيث نقل كل ما روى أبو داود في سننه من حديث عمر - ـ مع فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - بسنده ولفظه .

وفي ص(271-274) نقل ما رواه الإمام مالك في الموطأ بسنده إلى فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة - إلى قولها - فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم بن هشام خطباني ... الحديث 0

ثم يعلق على ذلك ويقول : » روى يحيى بن يحيى : وأبا جهم بن هشام ، وذكر أباه ولم يذكر أباه غيره من رواة الموطأ ، كيحيى بن بكير ، وغيره . قالوا : إنما هو أبو جهم بن حذيفة « 0

انظر هامش (5) ص(273) فهذا دليل على عنايته بلفظ الحديث وسنده وتصويبه 0

وفي ص (240-241) ينقل عن الترمذي بسنده إلى أبي سعيد الخدري ق ال : قال رسول الله - ـ : (لا تسبوا أصحابي ....) الحديث ، ولم يقف عند هذا بل ذكر قول الترمذي : » هذا حديث حسن صحيح ، ومعنى قوله : نصيفه ، يعني : المد « . وهكذا 0

وفي ص(460) ينص على تضعيف حديث فيقول : » وطعن أهل الحديث وضعفوا قوله - عليه السلام - : (إذا روى لكم علي حديث فأعرضوه على كتاب الله) « 0

4ـ كون هذا الكتاب من المخطوطات النادرة ، ولم يسبق نشره 0
5ـ المساهمة في إخراج هذا التراث الضخم ، وابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى 0

ثالثاً : الصعوبات التي واجهتها أثناء البحث :

لا شك أن من يحقق كتاباً بهذا الحجم والوصف السابق سيعرض له العديد من الصعوبات والمشاكل ، التي تحمل في طياتها حافزاً له على بذل المزيد من الجهد والاعتناء ؛ لمحاولة التغلب على هذه الصعوبات وإخراج العمل بالمستوى الذي تحصل به الفائدة المرجوة من التحقيق ، وهذا ما حدث لي فقد واجهت خلال تحقيق هذا الجزء العديد من المشاكل والصعوبات ، التي كان من أبرزها الآتي :

1ـ كثرة النقول التي أوردها المؤلف عن مصادر مفقودة ، أو نادرة الوجود مما أدى إلى صعوبة توثيق بعض تلك النقول ، وقد حملني ذلك على القيام بعدة رحلات علمية إلى كل من : مصر حيث زرت دار الكتب المصرية ، ومعهد العلوم العربية والإسلامية بالقاهرة ، ومكتبة الأزهر ، وإلى دمشق حيث زرت المكتبة الظاهرية، وإلى تركيا حيث زرت ما أمكن من مكتباتها . وقد وقفت خلال تلك الرحلات على العديد من المصادر التي اعتمد عليها المؤلف ونقل عنها ، ومع ذلك لا يزال هناك بعض المصادر التي لم استطع الوقوف عليها رغم أني قد بذلت في سبيل ذلك كل ما أملك من جهد وطاقة ، وقد عرّفت بها في أول ورودها في النص المحقق ، ومنها :

ـ المعجم لابن شاهين ، انظر : ص(136) 0
ـ الأجناس للناطفي ، انظر : ص(555) 0
ـ التلخيص لأبي إسحاق الصفار ، انظر : ص(341) 0
ـ شرح الجامع الكبير للنسفي ، انظر : ص(25) 0
ـ أصول صدر الإسلام البزدوي ، انظر : ص(14) 0
ـ إشارات الأسرار لأبي الفضل الكرماني ، انظر : ص(203) 0

2ـ كثرة الأعلام الذين نقل عنهم المؤلف مع التشابه في أسماء أو أنساب بعضهم ، وذلك بسبب نقله للأسانيد كاملة ، وتجدر الإ شارة إلى أنه نقل عن معرفة علوم الحديث للحاكم بأسانيد نازلة ، تختلف عن الأسانيد الموجودة في النسخة المطبوعة لعلوم الحديث ، حتى أن بعضهم لم أقف له على ترجمة وقد أشرت إلى الاختلاف في هـذه الأسـانيد في مواضعها . ومـن ذلـك مـا فـي ص(886-887)، وص(891) ، وص(894-895) ، وص(896-897) وص(927) ، (928) 0

3ـ نقله عن أسماء لا وجود لهم في مظانهم من كتب الطبقات و التراجم مما يستغرق زمناً طويلا ً في البحث عنهم ، وقد ينتهي البحث بعدم الوقوف على تراجم لبعضهم ، ومن ذلك ما في (797) ، (884) ، (929) 0

4ـ كثرة الآثار التي أوردها المؤلف مما استفرغ جهداً ووقتاً في تخريجها مع الاستعانة بوسائل التخريج الحديثة كالحاسوب ، ومع ذلك بقي بعض الآثار التي لم استطع الوقوف عليها ومن ذلك ما في ص (230) ، (354) 0

خطة العمل في الرسالة

ينقسم عملي في هذا الجزء من كتاب الشامل إلى قسمين:

القســم الأول : الدراسي 0

القسم الثاني : التحقيقي 0

أولا ً : القسم الدراسي وفيه فصلان :
ـ الفصـــل الأول في : عصر الإتقاني وحياته الشخصية والعلمية 0
ـ الفصل الثاني في : ســبب تأليـــف الكتــاب وتأريخـــــه ،
والتعريف بالجزء الخامس منه 0

الفصل الأول
عصر الإتقاني وحياته الشخصية والعلمية

وفيه عشرة مباحث :

المبحـــــث الأول في : عصره 0
المبحث الثانـــي في : اسمه ، ولقبه ، ونسبته ، وكنيته 0
المبحث الثالـــث في : مولده 0
المبحث الرابـــع في : نشأته ، وحياته 0
المبحث الخامـس في : طلبه للعلم ، ورحلاته 0
المبحث السادس في : شيوخه ، وتلاميذه 0
المبحث السـابع في : مذهبه الفقهي ، وعقيدته 0
المبحث الثامـــن في : مؤلفاتـه 0
المبحث التاسـع في : وفاتـه 0
المبحث العاشـر في : مكانته ، وثناء العلماء عليه 0

المبحث الأول : عصره

وفيه ثلاثة مطالب :
المطلـــب الأول : عصـره من الناحية السياسية 0
المطلب الثاني : عصره من الناحية الاجتماعية 0
المطلب الثالث : عصـره مـن الناحيـة العلميـــة 0

تمهيـــد

لا شك أن للبيئة التي يعيش فيها الإنسان ، والظروف التي تحيط به ، أثراً في تكوين شخصيته ، سياسية كانت تلك الظروف ، أو علمية ، أو اجتماعية ؛ إذ لا بد له من معايشة واقع عصره ، و التفاعل معه ، وبخاصة إذا كان علماً بارزاً يرجى منه الإصلاح 0

لذلك كان لزاماً عند دراسة شخصية من الشخصيات دراسة العصر الذي عاشت فيه تلك الشخصية . ولا شك أن شخصية علمية كالإتقاني ـ رحمه الله ـ الذي وصف بأنه عالم زمانه ـ من أكثر الناس تأثراً وتأثيراً بما يدور حوله ، لذا كان من المناسب دراسة عصره من نواحيه المختلفة : السياسية ، والاجتماعية ، و العلمية ، للوقوف على مدى تأثيره في مجتمعه ، ومدى تأثير مجتمعه فيه ، وقد قمت بتقسيم هذا المبحث إلى المطالب التالية :

المطلب الأول : عصره من الناحية السياسية 0

المطلب الثاني : عصره من الناحية الاجتماعية 0

المطلب الثالث : عصره من الناحية العلمية 0

المطلب الأول
عصره من الناحية السياسية

إذا علمنا أن الإتقاني ـ رحمه الله ـ ولد في أواخر القرن السابع الهجري ، وبالتحديد سنة خمس وثمانين وستمائة ، أدركنا أنه بدأ حياته في قرن يعتبر من أخطر القرون التي مرت بالأمة الإ سلامية ، وبالرغم من أنه لم يدرك من ذلك القرن سوى خمسة عشر عاماً إلا أنه لا بد من الإشارة إلى الأحداث السياسية في النصف الأخير من ذلك القرن ؛ إذ أن ما حدث يعتبر منعطفاً في تأريخ الأمة لا زالت تعاني منه إلى يومنا هذا ، فكيف بمن أدرك طرفاً من تلك الأحداث 0

فقبل مولده بحوالي تسع وعشرين سنة فقط سقطت الخلا فة العباسية ، وبذلك اختفت حضارة عاش العالم الإسلامي في ظلها زهاء خمسة قرون ، وفي تلك الفترة كان الضعف قد دب إلى حكم العباسيين وكان النفوذ الفعلي في بلاد العراق للسلاجقة[1] ، إلا أن غزو التتار أنهى حكم الجميع[2] ، فقد استولى التتار على بغداد سنة 656هـ بقيادة هولاكو (ت 664هـ) ، وقتلوا آخر خلفاء بني العباس المعتصم بالله ، أبو أحمد عبدالله بن المنتصر بالله أبي جعفر منصور[3] 0

---

(1) انظر : تأريخ الإسلام (94/4) 0
والسلاجقة نسبة إلى سلجوق بن دُقاق ، أحد رؤساء الأتراك ، وكان أول ملوكهم طغرلبك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق . وكان آخر السلاجقة العظام سنجر الذي توفي سنة 552هـ ، وتقاسم ملك السلا جقة بعد ذلك الأتابكة وهم الأوصياء على أبناء السلاطين السلاجقة 0
انظر مع ما سبق : وفيات الأعيان (427/2-428) ، (63/5-68) 0

(2) انظر : سير أعلام النبلاء (181/23) ، البداية والنهاية (200/13-201) ، حروب المغول ص(61-62) 0

(3) انظر : سير أعلام النبلاء (174/23-485) ، البداية والنهاية (204/13-205) 0

وتجدر الإشارة إلى أن المغول حينما انتهت حملاتهم ضد بلا د الصين ، وتوجهوا بعد ذلك للقضاء على الدولة الخوارزمية (تركستان ، وأفغانستان ، وإيران)[1] ، كانت مدينة (أوترار) وتسمى فاراب أول مدينة يقصدها المغول باعتبارها مفتاح إقليم ما وراء النهر[2] ، وهي المدينة التي ينسب إليها الإتقاني ، فيقال له : الفارابي ، والأتراري ، وإتقان قصبة من قصباتها[3] ، وقد توالى سقوط الأقاليم في أيدي المغول حتى سقطت بغداد ، وحدثت تلك المذبحة الكبيرة 0

يقول ابن كثير في معرض ذكره لأحداث سنة 656هـ : » .... وعادت بغداد بعد أن كانت آنس المدن كلها ، كأنها خراب ، ليس فيها إلا القليل من الناس وهم في خوف وجوع وذلة وقلة ، وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة ، فقيل : ثمانمائة ألف . وقيل : ألف ألف وثمانمائة . وقيل : بلغت القتلى ألفي ألف نفس . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وكان دخولهم في بغداد في أواخر المحرم ، وما زال السيف يقتل أهلها

---

(1) انظر : تأريخ الإسلام (96/4) 0
وكان أول حكام الدولة الخوارزمية أنوشتكين الذي ابتدأ ملكه سنة 470هـ ، وكان يعمل في وظيفة الساقي في البلاط السلجوقي ، ثم استطاع خلفاؤه من بعده ، التخلص من كل صلة لهم بالسلاجقة ، وقد عظمت دولتهم حتى أصبحت تنافس دولة السلاجقة ، وقد خلف أنوشتكين ابنه محمد الذي عينه السلطان بركياروق السلجوقي على بلاد خوارزم وظل عليها إلى أن مات سنة 521هـ ، وأعقبه ابنه أتسز ، وهو الذي أعلن استقلا له عن السلاجقة . وخوارزم تنطق بضم الخاء وفتحها ، وهو اسم للناحية وليس للمدينة ، وقيل أصلها خوار رزم - وإنما قيل خوارزم استثقالا ً لتكرير الراء ، ويروى في سبب تسميتها أن أحد الملوك نفى قوماً من مدينة كاث ، ولما كشف خبرهم بعد مدة وجدهم يصيدون السمك وبه يقتاتون وقد جمعوا الحطب ، فلما أخبر الملك بحالهم سمى ذلك الموضع خوارزم ؛ لأن خوار تعني اللحم ، ورزم تعني الحطب 0
انظر : معجم البلدان (395/2) ، سير أعلام النبلاء (400/19) 0
(2) انظر : حروب المغول ص(32) 0
(3) انظر : ص(34) من هذه الدراسة 0

أربعين يوماً .... «[1] 0 وقد توجه المغول بعد ذلك إلى بلاد الشام فاستولوا على حلب ، ودمشق ، وبعلبك ، وأحدثوا فيها من الفساد والمذابح ، مالا يعلمه إلا الله ، وكان ذلك عام 658هـ[2] 0

ثم توجهت أنظارهم بعد ذلك إلى مصر ، إلا أن السلطان المملوكي قطز (ت 658) وجد فيما حل بالمسلمين فرصة لتوحيد الكلمة ، وإعلان الجهاد ، ودفع خطر المغول ، وساعده على تحقيق ذلك ما نشب بين المغول من حروب أهلية ، عاد على إثرها هولاكو إلى بلاده[3] 0

وفي هذه الأثناء توجه الجيش المملوكي إلى الشام بقيادة قطز سنة 658هـ ، فاستولوا على غزة ، وقضوا على حاميتها المغولية ، ووصل قطز إلى عين جالوت في رمضان من نفس العام وهناك دارت المعركة الشهيرة التي انكسر فيها المغول ، وحل بهم هزيمة نكراء ـ ولله الحمد ـ وكانت عين جالوت أبعد نقطة للتوسع المغولي في بلاد الشام باتجاه مصر ، التي حماها الله من ذلك الخطر[4] 0

وذلك لا يعني انتهاء الخطر المغولي ، بل ظل المغول يتحينون الفرص للثأر ، وقد تصدى لهم الظاهر بيبرس (ت 676) الذي خلف قطز في ولاية مصر[5] ، وقد

---

(1) البداية والنهاية (202/13) 0
(2) انظر : البداية والنهاية (219/13-220) ، حروب المغول ص(62-64) 0
(3) انظر : سير أعلام النبلاء (200/23-201) ، وقد ذكر أن المظفر قطز يقال : إنه ابن أخت خوارزم شاه جلال الدين ، وأنه حر ، واسمه محمود . ولم يكمل سنة في السلطنة 0
(4) انظر : س-ير أعلام النبلاء (200/23-201) ، البداية والنهاية (220/13) ، النجوم الزاهرة (72/7-89) ، حسن المحاضرة (59/2-60) ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص(183-188) 0
(5) بعد أن انتصر قطز على المغول في عين جالوت ، وكان بيبرس قائد القوات ، وقعت وحشة بينهما ؛ إذ أن قطز كان قد وعد بيبرس بولاية حلب ثم رجع عن ذلك ووجد بيبرس في نفسه على قطز ، فتآمر مع جماعة من ا لأمراء فقتلوه في ذي القعدة سنة 658 . وتسلطن بعده بيبرس0
انظر : حسن المحاضرة (60/2) ، ومصر والشام في عصر الأيوبيين و المماليك ص(186-188)

تحالف المغول مع سلاجقة الروم ضد بيبرس ، وألحق بهم بيبرس هزيمة ساحقة سنة 674هـ[1] . وذلك في زمن آبغا بن هولاكو الذي هلك سنة 680هـ[2] . وبموته
بدأت مرحلة جديدة في العهد المغولي حيث أعقبه أخوه أحمد (ت 683) الذي أسلم وتصالح مع الملك الناصر قلاوون ، وحقن الدماء[3] ، إلا أن ذلك لم يدم طويلا ً حيث قُتِل وأعقبه أرغون بن آبغا (ت 690) وقد وصف بأنه كان سفاكاً للدماء ، وأنه قتل عمه أحمد فعظم في عين المغول ، وقد قتل هو أيضاً مسموماً[4] ، وأعقبه كيتخو وبقي سنة أو أقل ، فقتل 0
واستمر ذلك الاضطراب السياسي إلى عهد قازان بن أرغون (ت 703) ، الذي أسلم ودخل أكثر التتار في عهده في الإسلام 0
يقول ابن كثير في أحداث سنة 694هـ : » وفيها ملك التتار قازان بن أرغون بن آبغا بن تولي بن جنكيز خان ، فأسلم وأظهر ا لإسلام على يد الأمير توزون ـ رحمه الله ـ ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام ، ونثر الذهب ، والفضة ، واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه ، وتسمى بمحمود ، وشهد الخطبة والجمعة ، وخرّب كنائس كثيرة ، وضرب عليهم الجزية ، ورد مظالم كثيرة ببغداد . وغيرها من البلاد ... والحمد لله وحده «[5] 0

---

(1) انظـر : البداية والنهاية (13-269) ، مصـر والشـام في عصر الأيوبيين و المماليــك ص(202-203) 0
(2) وفي هذه السنة أيضاً حلت هزيمة ساحقة بالمغول على يد السلطان قلا وون ، وتعرف بوقعة حمص، حتى قيل : إن آبغا ساءه ما حدث ومات غماً وحزناً ، وقيل : إنه قتل 0
انظر : البداية والنهاية (297/13) ، مصر والشام في عصر الأيوبيين و المماليك ص(214) ، حروب المغول ص(68-69) 0
(3) انظر : شذرات الذهب (381/5) 0
(4) انظر : البداية والنهاية (324/13) 0
(5) البداية والنهاية (340/13) . وانظر : الدرر الكامنة (127/3-128) 0